

533- "دورية" محفوظ بين ملحمة الحرافيش، وملحمة غزاة

تعتة

ها تفتني الابن/ الصديق د. زكى سالم، يوم صدور تعتة 2008/12/10 وفيها إشارة إلى قرب صدور دورية نجيب محفوظ وقال لي "مبروك"، د. زكى هو صاحب ومريد ومن أهم الرواة عن شيخنا منذ أكثر من ثلاثين عاماً، (وهو زميلي في هذه الصفحة) د. زكى مقل من مكالماته لي، قاس عادة في حكمه النقدي، أذكر أنني حين أعطيته مسودة الجزء الثالث (ملحمة الرحيل والعود) من ثلاثيتي "المشى على الصراط" وقال فيها كلاماً طيباً، أن مال على الأستاذ وقال: "حل بالك، هذه شهادة غالية، زكى صعب، لا يعلنها هكذا بسهولة.."، رددت على مكالمته د. زكى: مبروك ماذا؟ قال: مبروك قرار صدور "الدورية النقدية" للأستاذ، ثم أضاف: أخيراً تحقق حلمك، حلمنا، شكرته ولم أقل له "يا ليت"، كنت مازلت أخشى الإحباط.

لكن الابن الناقد الكريم د. حسين حمودة كان قد اتصل بي وطلب مني المقال للدورية، فأرسلتها فوراً، لكنني ظلمت متوجساً..، إلى أن اتصل بي مرة أخرى بعد أسابيع يبشرني أن العدد الأول من الدورية قد ظهر فعلاً، يا خير!! الحمد لله.

كنت قد بدأت التعتة المذكورة (12/10) استشهاده ببيت شعر يقول "أخلى بذي الصبر أن يحظى بجأته، ومؤمن القرع للأبواب أن يلجأ". وسألني بعض تلاميذي من هجروا الشعر العربي التقليدي عن معنى البيت، فتعجبت للسؤال ولم أرد ردًا شافياً، لكنني فوجئت وأنا أكتب تعتة اليوم أن سؤال الزميل يعاودني، فرحت أراجع ما قرعته من أبواب: وأنا أقترح، وأطلب، وأكتب، وأذيع، لا أكاد أذكر لقاء لجنة تراثه أو في ذكره أو أثناء حياته إلا وكررت فيه هذا الاقتراح اللجوج، عدت بعض الأبواب التي طرقتها وعثرت على بعضها كأمثلة: (خطاب مجلة فصول: عدد نوفمبر- 1988)، (الاهرام: 2001/12/14)، (وجهات نظر: عدد يناير 2003)، (وجهات نظر: عدد أكتوبر 2006)، (الهلال: عدد مارس 2005)، (روز اليوسف اليومية: 16- 12 - 2005)، (جريدة القاهرة: 28 - 8 - 2007)، (الدستور: 10-12-2008)، القناة الثانية بتاريخ 3-9-2006 - وقناة النيل للأخبار بتاريخ 8-16-

2007، أرجعت الفضل في هذه المثابرة إلى نوع الجهاد العنيد والإبداع المثابر الذي تعلمناه من شيخنا، حتى بعد أن توقف إبداعه الكتابي بضعة سنوات بعد الحادث إذا بي أكتشف أنه يعيد تشكيلنا ونحن حوله بما أسمته إبداع "حي" <===> .

حين تسلمت العدد الأول من الدورية رحبت قلبه بين يدي قبل أن أفتحه وكأني أهدهد مولوداً عزيزاً، طالبت مدة الحمل به واحداً وعشرين عاماً، لكن من فضل الله أن تسلمه فور ولادته من هم أولي به وأقدر على رعايته، فانقلب عملاقاً للتعويض، فأتصور مشاعر د. زكي سالم وهو يبارك لي، فتأكد أنه لم يبارك لي بصفتي الشخصية، ثم افتتح الصفحة الأولى فأتبين كيف أن الرائد النبيل أ.د. جابر عصفور لم يكتف أن يكون الابن الناقد الدؤوب د. حسين حمودة سكرتيراً للدورية بل جعله نائبه، (نائب رئيس التحرير) فاطمأننت أكثر لتواصل الأجيال، وحين افتقدت ذكر تاريخ تطور اقتراحي شخصياً فرحت أكثر لأن ذلك يعني أن ظهور الدورية ليس نتيجة إلحاح فرد محب دؤوب، وإنما هو الإفراز الطبيعي لاستمرار حضور شيخنا هكذا في وعينا جميعاً،

نجيب محفوظ باق ليس فقط بما ترك "لنا" ولكن بما ترك "فيينا".

حين توقف نجيب محفوظ عاماً واحداً عن الكتابة إثر هزيمة 1967، انطلق بعدها أعمق وأوفر عطاء حتى توج تلك المرحلة بلحمة الخرافيش التي راح من خلالها يعلمنا أن الحياة دورات لا يخلد فيها إلا الحق، كان يواصل حربه، حربنا، ضد هذا العدو الدنيئ الشرس في جبهة أخرى، بأسلحة أخرى، ابقى وأقدر على مواجهة التحدي إبداعياً وحضارياً. امتداد هذه الحرب الطويلة الرائعة -بما ترك فينا- هو الذي أصدر الدورية، وقد واكب ظهورها ما اقتحم وعينا من دماء الشهداء وأشلاء الأطفال.

شكراً يا عمنا محفوظ، شكراً يا أ.د. جابر عصفور، شكراً للأستاذ علي أبو شادي، شكراً يا د. حسين حمودة، شكراً يوسف القعيد (رئيس تحرير سلسلة نجيب محفوظ التي سبقت الدورية: الهيئة العامة للكتاب، شكراً يا د. الأنصاري).

حين صمت نجيب محفوظ عاماً يتجرع فيه هزيمة 1967، بكل الألم، عاود الحرب، يهد لنا بطريقته حرباً أخرى، ولم يتوقف أبداً حتى بعد إصابته، لعل نوع السلام الذي أقره شيخنا، هو ما استقبلته إعلاناً مؤجلاً لقبول الهزيمة بشجاعة، لنواصل الجهاد إبداعاً أبقى، نحو نصر أكرم.

نجيب محفوظ يعلمنا كل ذلك حياً وياقياً، فنذكره، ونشكره ونحن نعتذر له عن اختزال بعض المتشجنين لموقفه دون وعي مسئول يليق بحجمه، ويعترف بعطائه، ويجذو حذو حكمته.